على السفود

(٢)

ساق حر فى الديوان العالى الملكى(١)

رجع الشيخ عبد الله عفيفى إلى جريمته فنظم قصيدة أخرى رفعها إلى جلالة الملك فى عيد ميلاده السعيد وسخرت جريدة الأهرام من هذا الشعور فنشرت له قصيدته فى صدرها بحرف كبير مشكول جلب لها من مطبعة دار الكتب على ما يظهر . كل شىء فى هذه البلاد تهويل وتطفيل ولكن حين تكون مثل هذه القصيدة فى صدر الاهرام لا يكون معناها أنها قصيدة افتتاحية بل فضيحة افتتاحية

طبعا ليس الديوان العالى الملكى مسئولا عن شعر مثل أنيسه حصلب وعزيز صعب وشاعر الاخلاص حسن الدرس، ولكنه مسئول عن هذيان المحرر العربى فيه ومسئول عن إفساد ذوق الجمهور بنشر هذا الهراء المظلوم ومسئول فوق ذلك عن تشويه سمعة مصر وأدبها فى الأقطار الاخرى. لأنه إذا كان هذا الشعر الرسمى الخارج من الديوان العالى والمنسوب اليه والمحسوب عليه. فياضيعة الأدب ويا سقوط الشعر. ولم يبق لأئمته إلا أن يفزعوا إلى جلالة الملك فان جلالته باعث النهضة اللغوية الأدبية وحاميها ولن يقبل أن يرجع عصره السعيد إلى الوراء سبعين أو ثمانين سنة فيأتينا مثل الشيخ على الدرويش فى صورة الشيخ عبد الله عفيفي

نحن فى عصر آخر قد زخر بالفلسفة والأدب والحكمة فمن العار أن يكون الشيخ ابن عفيفى مسموحا له رسميا بافساد الذوق الأدبى ونشر هرائه على الجمهور وإضحاك أدباء الأقطار الأخرى من الأدب الرسمى المصرى . هذا لا تحتمله مصر ولا يرضاه

---

(١) سألنا الكثيرون عما هو السفود (بسين مشددة بفتح وفاء مشددة بضم) والسفود سيخ من الحديد يلبس فى اللحم ويدار أمام النار لينضج . فاذا وضع فى إنسان كان خازوقاً يذهب به إلى جهنم .

أدبائها. ويقيننا أن جلالة الملك لن يسمح به لجلالته عالم من أعظم العلماء وأديب من أبلغ أدباء الدنيا وإلى جلالته ترفع العصور هذا النقد ملتمسة من رحمته أن يرحم الشعر والأدب

يقول الشيخ عفيفي في مطلع قصيدته

دعتذات الأراكة فاستجيبا ولا تدعا من الدنيا نصيبا

القصيدة تهنئة بعيد الميلاد ومرفوعة إلى جلالة الملك ومع ذلك ترجع بنا هذا الشعور ألفاً وأربعمائة سنة إلى ذلك العصر القديم الذي كان الشعراء يقولون فيه في مطلع قصائدهم من مثل

خليلي مرا بي على أم جندب

أو : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فيبدؤن الكلام بتوجيه الخطاب إلى اثنين دائما ودائما إلى اثنين. لأنهم قوم رحل ولا يسافر الواحد منهم إلا ومعه اثنان على الأقل ولهذا يكثر في شعرهم: صاحبي. خليلي. مصيبتي!!

ولكن هنا في مصر وفي قصر عابدين ما معنى توجيه الخطاب الى اثنين من دون لامة كلها؟ الا أن يكون التقليد الأعمى والجهل بأصل الطريقة العربية.

ولكن هذا ليس بشيء في جنب المصيبة العظمى والداهية الدهياء التي في هذا البيت. فذات الأراكة هي الحمامة المطوقة التي يذكرها العرب كثيرا في شعرهم. وهنا يظهر جهل هذا الشيخ جهلا مخزياً ويظهر فساد ذوقه بحالة تشمئز منها كل نفس ويستعاذ بالله منها. حرس الله جلالة مولانا الملك ووقاه بعنايته وحفظه لأمته المتعلقة بعرشه المؤملة فيه وفي وجوده السعيد

العرب لا يذكرون دعاء الحمام وهتاف الحمام الا على أنه ندب ونوح وحزن وشجى. لأن هذا طبيعي في نغمة الحمائم ولان نغماته تهيج الحزن وتذكر كل حزين بآلامه وهمومه. انظر قول الشاعر الغزلي القديم، وكان البحتري دائما يتمثل بهذه الأبيات ويكررها ويحن إليها، واذا قرأت هذه الأبيات أيها القارئ. فانظر كيف يكون الشعر كالماء الصافي والنسيم العليل اسمعوا. اسمعوا.

حمام الأراك ألا فاخبرينا لمن تندبين ومن تعولينا
فقد هجت بالشجو منا القلوب وأبكيت بالندب منا العيونا
تعالى نقم مأتماً للهموم ونعول إخواننا الظاعنينا
ونسعدكن وتسعدننا فان الحزين يواسي الحزينا

هذا هو حمام الأراك أو ذوات الأراكة. يقول هذا الغبي الشعرور شعرا كلمندب ونوح وعويل ومأتم وإسعاد على الحزن والبكاء والهموم. وليلاحظ ان العرب لا يقولون أسعده في كذا أو على كذا الا في الاحزان والمصائب خاصة. أما في غيرها فيقولون ساعده

ماذا يريد الشعرور من افتتاح قصيدته في تهنئة جلالة الملك بعيد ميلاده السعيد بهذا المطلع الفظيع الفظيع. هل كل الناس جهال أغبياء وأقفرت الامة والبلاد، فليس فيها من يعرف شيئا حتى يستغفلهم الشيخ عفيفي ؟

ولكن الظاهر ان الشعرور يظن ان دعاء الحمامة طرب وفرح، وعجز عن ان يأتي بكلمة تفيد هذا المعنى وكان قوله (دعت) . فيبقى ان الكلمة نفسها مسروقة من بيت شعر لا تفيد فيه الا الحزن والهم والغم (والغلب) . وقد عجب الناس من قوله في هذه القصيدة :

فمن ورق تساجع ساق حر

و«ساق حر» . كلمة «دعت» مسروقتان معاً من البيت المذكور وهو قول حميد بن ثور

وما هاج هذا الشوق الا حمامة دعت ساق حر ترحة وترنما
تغنت على غصن غشاء فلم تدع لنائحة من نوحها متألما

انظروا أيها القراء هذه السماجة وهذا الغباء. أتفتتح تهنئة جلالة الملك بهذه الكلمة المسروقة من بيت (نوح النائح !) أليس هذا فظيعا واكثر من فظيع . وهل الشيخ عفيفي جاهل أيضا باللغة العامية ؟ الم يسمع العامة تتغنى في كل مكان «ليه ياحمام يتنوح ليه» .

وكنا قد اتهمناه بانه رجل نحوي يجب ان يبقى في كتب النحو وبين التلاميذ ولكن يظهر أنه لم يقرأ في كتب النحو شعر ابي فراس

اقول وقد ناحت بقربي حمامة ٥ أيا جارتا هل تشعرين بحالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا ٥ تعالي أقاسمك الهموم تعالي

يستحيل ان يكون هذا الشعور رجاهلا بالعربية والعامية معاً فلم يبق الا أنه فاسد الذوق ثقيل الروح مغرور مظلم الفكر عتيق عتيق عتيق بل الشعور نفسه معترف في قصيدته بان الحمامة لا تؤثر إلا الحزن والهم وأنها تملأ الجوانح نارا وسعيرا وذلك في قوله :

وقد علمت قيس هواه ٥ وأذكت في جوانحه لهيا

الله الله قيس المجنون المشهور علته الحمامة جنونه وملأت قلبه وضلوعه نارا ولهيبا من النار باعتراف الشعور . ثم هذه الحمامة عينها التي هي باعترافه حريق ونار ولهيب وجنون، هي التي يفتتح بها وبنواحها تهنئة جلاله مولانا الملك . وهل يجهل ابن عفيفي تطير ابي تمام من الحمام في بيته المشهور :

هن « الحمام » فان كسرت عيافة ٥ من حائهن فانهن « حمام »

والعجبية أن القصيدة مفتتحة بكلمة « دعت » التي معناها ناحت ومختتمة بكلمة « تحيا » — وسبحان مانح الأذواق .

وقل يا أخي القارىء لقد تحيرت في معنى قوله : « ولا تدعا من الدنيا نصيبا » لنفرض أنه يريد بالشطر الاول ان الحمامة أطربت وجاءت بالسرور والفرح فلتحيا لها يا خليلي ويا صاحبي ويا مصيبتي !! فما معنى الشطر الثاني ؟ ان المقرر أن نفي النكرة ينفي الجنس كله . فاذا قلت لم أر انسانا في هذا المكان فالمعنى انك لم تر أي فرد من الجنس الانساني كله . فهل يريد الشعور ان الحمامة اطربت فهيصا هيصاً وخذا كل حظ في الدنيا من خمر وطرب ورقص ونساء وتياترو وسينما والكسار والكورسال والبلوت بلسك الخ ! لو كان امر الشعور هنا صادرا من ملك انجلترا ووراءه الاسطول ينفذه لما نفذ . والا فمن الذي يقدر ان يعطي كل نصيب من الدنيا؟ واذا وجد هذا فمن الذي يقدر ان يأخذ كل نصيب من الدنيا . وهو لو اخذ عشرة أنصبة فقط لهلك من فرط اللذات خصوصا . وهل الكوكايين والمورفين والهورين وامثالها الا أنصبة من الحظوظ لبعض الناس .

فظهر ان الشعور سارق هذا الشطر من قوله تعالى « ولا تنس نصيبك من الدنيا » لانه زعم في سخافته التي سماها (تحية العيد) انه شاعر !!

لم يلهه عبث الشباب ولم يضع ... عبراته بين الدخول فحومل

فاذا كان كذلك فى القصيدة الماضية وأراد ان « يهيص » فى هذه القصيدة وجب ان يعتذر بعذر شرعى وهو قوله تعالى «ولا تنس نصيبك من الدنيا» ولكن مع هذا يبقى من جهل هذا اللغى شىء كثير. فان الآية استعملت النصيب معرفة باضافته الى الكاف فصار محدودا معينا بانه نصيب شخص بعينه. فهو على مقداره وباعتبار ما يلائمه ويصلح له ومع ذلك قيدت الآية اخذ النصيب المحدود بأمر يجعله كله خيرا فكانت تكملتها «وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض» فهكذا يكون الأمر فى الكمال والحقيقة والحكمة. أما الشعور بخرب الدنيا بتكبير النصيب وتفيه. ولذلك جاء معناه منتبى الخفة

هذا كله فى مطلع القصيدة فقط. إن هذا المطلع «يطلع الروح». ألا يقول الأدباء فى هذا الرجل وأمثاله ومشاركته اياهم فى الأدب قول المتنبى

وما موت بأبغض من حياة ... أرى لهم معي فيها نصيباً

علمت أن ابن ثور نظم أبياتاً فى الحمام ونوحه سرق منها ابن عفيف «دعت وساق حر» ويقول ابن عفيف بعد المطلع

مطوقة زعماها الروض غصناً ... وجللها بمطرفه قشيباً

وابن ثور يقول بعد البيت الأول

مطوقة غراء تسجع كلما ... دنا الصيف ... الخ

ولكن (خد بالك) ابن عفيف جعل الروض الغض القشيب يكسو الحمامة بمطرفه أى ثوبه. فكأن جمالها وريشها وطوقها من صنع الربيع وهذا ما يجب أن تنبه اليه وزارة الزراعة لأنه اكتشاف عجيب. أما ابن ثور فلما قال مطوقة وصف هذا الطوق أبدع وصف وهو الذى يهم العرب فى منظر الحمام وجماله حتى أنهم يسمونه الحمام المطوق فقال

عجلاة طوق لم يكن من تميمة ... ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

أى طوق ليس مما ينسج ولا مما يصاغ.

ثم يقول ابن ثور:

عجبت لها أنى يكون غناؤها ... فصيحاً ولم تفغر بمنطقها فما

ويقول ابن عفيفى :

تعجبت لها تساجلنى القوافى !! يالطيف . يالطيف .

ويقول ابن ثور : ولم أر مثلى شاته صوت مثلها

ويقول ابن عفيفى :

ولم أر كالحمام يقول قولا فيملك قوله القطن اللبيبا

يا أرض ابلعى (وحياة أبوك ابلعى) . ابن ثور يتعجب من فصاحة غناء الحمامة وتأثيره فى النفس تأثير الكلام الفصيح مع أنها لم تفغر بمنطقها فما أى لم تقل قولا . فيأتى الشعرور ويجعلها تقول قولا ويسرق أقبح سرقة فى الشطرين معاً مما يدل على أنه ضعيف الفهم جداً بمقدار ضعفه فى اللغة والبيان

وكل ما زايده ابن عفيفى على ابن ثور انه قال فى ذات أراكته !! وأين يوجد شجر الأراك ياترى ؟

تضاحكها الاقاح على الروابى فتنظر بهجة وتشم طيبا

الحمامة المخصوصة بالنوح والندب تضاحكها الأقاح (علشان خاطر الشيخ عفيفى) ويدخل فيها عقل الشيخ حينئذ فتصير تشم الطيب . تشم لوسيون الربيع من محل غناجه ! هذا اكتشاف آخر يجب أن تنبه إليه مصلحة الطب البيطرى !! والأقاح غلط لان هذه الكلمة لاتستعمل إلا بالياء وكل ما ورد فى شعر المتأخرين من قولهم الاقاح فهو خطأ فى اللغة .

بعد الحمام يقول الشعرور :

أخى !! هذا الربيع أهل فانظر حواشيه تر العجب العجيبا

وهنا ينتقل اللص الى خزانة ابى تمام فى قصيدته المشهورة فى وصف الربيع ولكن ألم يقل من قبل استحيبا ولاتدعا يخاطب اثنين فاين ذهب الثانى حين قال أخى؟ نحن نقول لكم أيها القراء أين ذهب . انه ركب الترامواى وراح يهيص فى شارع عماد الدين ويأخذ كل نصيب من الدنيا !!

يقول ابو تمام :

رقق حواشى الدهر فهي تمرمر

الى ان يقول

يا صاحبي تقصيا نظريكما ، تريا وجوه الأرض كيف تصور

الله اكبر الله اكبر. هذا هو البيان والتصوير. لم يقل انظر الأرض ولكن انظر وجوهها كيف تصور ، لأن الربيع ألوان ستمحي بعد مدة . فكلمة أخي مسروقة من صاحبي وهي في نهاية البرودة لو وضع عليها ميزان سانتغراد لهبط تحت الصفر !! وكلمة حواشيه مسروقة وجاءت بدون صناعة بخلاف ابي تمام . وكلمة انظر مسروقة وقد خلت من هذا القيد العجيب في قول ابي تمام ، تقصيا نظريكما ، وكلمة تر مسروقة من تريا. والعجب العجيب هو عجز العاجز عن أن يصنع مثل ابي تمام في قوله «كيف تصور» هذه شعوذة عامية ثقيلة على النفس كأن الشيخ عفيفي يظن الادباء اطفالا في الحارات فيحمل لهم صندوق العجب (صندوق الدنيا)

عجز الشعرور أقبح العجز في بيت واحد لابي تمام ولذلك أسرع بالفرار وترك باقي معانيه فلم يأت في الربيع الا بأسخف الاوصاف المبتذلة التي تُرثر بها أمثاله

فقال تخال النيل عاطفة عليه شقائق ورده سيفاً خضيبا

لو زرع شاطئا النيل وردا لما استقام هذا المعنى لان السيف الخضيب أي الملوث بالدم — وانظر قبح هذا التشبيه — لا يكون خضيبا في حده بل في متنه. وماء النيل في الربيع لا يكون احمر، بل يكون كذلك في الصيف. ولا يشبه حينئذ بالسيف الخضيب الا شعرور سخيف جاهل كل الجهل بالبيان العربي ونوادره وآثاره. فان القاضي الفاضل لما اراد أن يصف احمرار النيل ايام الفيضان ونمو الزرع وامتلاء مصر بالخصب بعد إمحالها، جعله يحمر كصفيحة السيف لانه قتل المحل في أرض مصر .

انما يكون تشبيه النيل بين شاطئيه كما قال القائل : سيف يسل على طراز أخضر .

ويقول الشيخ وتسمع للنسيم عليه شكوى ، فتحسبه خليلا مستريبا

يعني تحسب النسيم عاشقا استراب بمعشوقته فجعل يشكوها متوجعا لهذا ولذلك

هل يريد القراء أن يضربوا هذا البيت بال .. وان يعرفوا منزلة هذا الشعرور من الشعر الحقيقي ؟ إذن فليستمعوا قول جحظة في وصف رقة الجو :

ورق الجو حتى قيل هذا ، عتاب بين جحظة والزمان

من هنا سرق الرجل فانظروا كيف دخل القصر و خرج وفي يده حذاء البواب ! !
وكيف حول العتاب بين جحظة والزمان إلى شكوى خليل مستريب! ! ! !

ولتتم الريبة بقول الشعور

كأن شواجر الأزهار وهناً - حبيب ضم فى ليل حبيباً

شرح وهناً بقوله أى عند انتصاف الليل ! ! فعند انتصاف الليل ماذا يلهى الشيخ . لم يلهه عبث الشباب ، ؟وما دخل الحبيب يضم حبيبه عند انتصاف الليل فى تهنئة جلالة الملك ؟ فى قصيدة الرجل بيت واحد له معنى حسن . ولكن جهله بالبيان وصناعة الشعر أفسده عليه . قال

صنائع تنظر الرحمن فيها فتسجد خالصاً أو مستثيباً

تنظر الرحمن فيها كلمة جميلة وهى من قولهم تنظر الله فى آثاره . ولكن صنائع ، هذه كلمة سوقية عامية تشعر الانسان بمعنى الحرف والصنائع و هي مسروقة من قول أبى تمام فى وصف الربيع

صنع الذى لولا بدائع لطفه ، ماعاد أصفر بعد إذ هو أخضر

فجعلها الرجل صنائع ترى . وهذه عامية لا تطاق كأن الأرض فى ذ من الربيع ورشة! وتسجد خالصا يعنى إيه؟ هل الذى يسجد لله يسجد مرة خالصاً ومرة غير خالص ؟

كان الشعراء المتقدمون يبتدئون القصائد بالغزل أو الوصف ليثبتوا قوتهم البيانية فى بيت التخلص الذى ينتقلون منه إلى المدح. وفى هذا البيت تظهر قيمة الشاعر. فابن عفيف يتخلص بعد بيت الورشة والصنائع بقوله

نماها النيل فى دنيا (فؤاد) نماه مشرقاً لدناً رطيباً

جملة نماه مشرقا حال من فؤاد فالمعنى هذه الصنائع (نماها) النيل فى دنيا ملك هذا النيل نماه مشرقاً لدنا الخ. و نماه هنا من قول النابغة ، نماه فى فروع المجد نامى، أى نسبه اليه جد كريم مجيد أو رباه أب ماجد .فما معنى أن النيل نمى العشب والخضرة ونحوها ، حالة كونه نما الملك مثلها مشرقاً لدنا رطيبا؟ وهل هذا كهذا ياشيخ عفيفى؟ أليست هذه الجريمة أدبية فظيعة بل أفبح جريمة وقع فيها أديب فى التاريخ كله . أنظر كيف تخلص أبو تمام فى قصيدة الربيع إلى مدح المعتصم بعد أن جاء بمعجزات الوصف

خلق أطل من الربيع كأنه خلق الأمام وهديه المتنسر

أما مدح القصيدة فهو أبرد وأسخف من كل مامر . ولا تزال العصور تؤكد للشعراء أن أنيسه حصلب أشعر بكثير من عبدالله عفيفي ، وأن عفيفي هذا لص أدبي عتيق . وإن شعره معرة على مصر ، إذا جعلت له صفة رسمية أو شبه رسمية . فارحم تاريخنا وآدابنا وارحمنا بإجلالة الملك !!!

التو أمان

الأصل الانجليزى للشاعر هنرى لونجفلو والترجمة من نظم الدكتور أبى شادى

(١) الأصل

As unto the bow the cord is,
So unto the man is woman;
Though she bends him, she obeys him,
Though she draws him, yet she follows,
Useless each without the other!

(٢) الترجمة

كما هو لِلْقَوْسِ شَأْنُ الوَتَرْ كذلك حالُ الفَتَى والفَتَاهْ
فإنْ هى تُثْنِيهِ لكنَّها تُطِيع إطَاعَةَ مَنْ يُؤْتَمَرْ (١)
وإمَّا دَعَتْهُ لدَى جَذْبِهَا تَبَدَّتْ على نَهْجِهِ فى الأَثَرْ
كِلاَ ذَيْنِ دُونَ رفيقٍ أَبَرْ عَدِيمُ النَّجَاحِ عديمُ النَّجَاهْ!

(١) يؤتمر: يستشار.